والارتقاء نحو الامساك بجوهرها الواقعي الاعمق، واستخراج عبرها ودروسها الى جانب عبر ودروس التجارب الثورية للشعوب الاخرى، الأمر الذي يؤدي بالمحصلة النهائية الى صياغة الاتجاهات المبدئية للنشاط اللاحق على ضوء قراءة الواقع على خلفية نظرية ارقى واكثر عمقاً، وهكذا... فكلما تم امتلاك المنهج العلمي بشكل افضل كلما كانت الممارسة انضج. وكلما تم التعمق بفهم واستيعاب الماركسية، وخاصة جوانبها الاقتصادية والفلسفية، كلما كان استخدامها كمرشد للعمل ومنهج للتحليل والتغيير افضل وانجح.

ولعملية التحول في صفوفنا خصوصيتها المتميزة فقد شكلت حالة جدل واسع، وكانت عملية متناقضة ومعقدة وخاضعة للعفوية واللا وضوح والتجريبية في بدايتها، ثم ما لبثت ان تحددت كعملية واعية تقودها العناصر المتقدمة الاكثر اقتراباً من الفكر الماركسي العلمي والساعية لامتلاك منهجه وتمثله، وبحكم احتدام الصراع الوطني وتأثير الاستقطابات الطبقية العربية وبفعل تأثير خبرة التجربة السياسية في حسم الخيار الفكري- السياسي تركز الصراع بداية على حسم الهوية اليسارية للجبهة واخذ تدريجياً ينتقل نحو حسم التازمها واسترشادها بالفكر والمنهج الماركسيين، فأصبحت متطلبات ذلك تستدعي المزيد من الوعي والتنظيم والبرمجة والتخطيط لعملية الانتقال على كافة الصعد الفكرة والسياسية والتنظيمية لكن عدم نضج اطروحات اليسار وممارسات، ووجود مقاومة قوية للبنية اليمينية السابقة وممثليها ترافق مع حسم التناقض مع مرهقات نظرية وسياسية ومع ممارسات تنظيمية انشقاقية مقابل نزعات مركزية بيروقراطية متشددة، عقد العملية، مع ان الجبهة استطاعت ان تتجاوز ذلك عبر نضال شاق وصعب وتضحيات جسيمة، وقد كانت الجبهة تفقد مع كل انشقاق جزءاً من النواة اليسارية التي تمثل التحول وتقودها مما اثر سلباً على وتيرة التحول. وبعد ان حسم الالتزام الايديولوجي للجبهة اخذت تخرج المسائل من حيز الجدل الى حيز التطبيق الملموس بشكل اكثر علمية، وقد جاء المؤتمر الوطني الرابع ليتوج هذه العملية فتشكل محطة نوعية هامة على صعيد استكمال عملية التحول وبناء الحزب الطليعي، فما هي محصلة الشوط الذي قطعناه على صعيد التحول بعد المؤتمر الوطني الرابع، واين وصلنا على هذا الصعيد؟ هل انجزنا عملية التحول ام نحتاج الى استكمالها؟ وما هي المقاييس والمعايير التي يمكن اعتمادها لمحاكمة هذه المسألة؟ ان من الضروري ان يكون تقييمنا نقدياً وجريئاً، وبقدر الانشداد للانجازات والايجابيات يجب ان ننشد للثغرات والنواقص والاخفاقات وكذلك الى رؤية التناقضات التي اعاقت وتعيق عملية تقدمنا على كافة الصعد ومن الهام ايضاً ان يكون تقييمنا شاملاً على كافة الصعد الفكرية والاجتماعية- الطبقية والتنظيمية والسياسية والجماهيرية ولذلك سنتناول كل مجال من هذه المجالات على حدة، دون ان يعني ذلك فصلاً تعسفياً ميكانيكاً بينها، لأن عملية التحول كل متكامل ونرتبط مختلف جوانبها بوحدة ديالكتيكية واحدة، ولان نشاط الحزب في كافة المجالات مندمج ومتداخل ويكمل بعضه بعضاً، ويقوم في مجمله على اساس الجوهر الواحد للحزب ووظيفته كذات واعية ومنظمة للقيادة السياسية للجماهير.

اولاً: على الصعيد الايديولوجي

اولى المؤتمر الوطني الرابع اهمية كبيرة للتحول على الصعيد الايديولوجي، واعتبر ان هذا الجانب يلعب دوراً حاسماً في عملية التحول، وبالتالي فان له الاولوية على ما عداه، ورسم المؤتمر اتجاهات العمل على هذا الصعيد بالخطوط البرنامجية التالية.

- وضع برنامج تثقيفي مركزي جديد، محدد بفترة زمنية، وخاضع للتوجه والمراقبة دورياً.
- اعادة النظر بالوثائق الاساسية للحزب، واعادة صياغتها لتصبح المادة المعتمدة في الحزب.
- الارتفاع المستمر بمستوى التملك العميق للنظرية من قبل القيادات وتوفير الفرصة لها للدراسة.
- وطمح سياسة مبرمجة لاعداد الكادر، وتمليكه لأساسيات النظرية.
- ايلاء العناية للكوادر النابهة، واعطائها اكبر الفرص للتعلم والبناء من خلال الدورات والمسؤوليات.
- الارتقاء بمستوى النشرة الداخلية لتعالج القضايا بعلمية وملموسية اكبر.
- اعادة النظر ببعض التعاميم والمواضيع السابقة، وتطويرها واصدارها كنشرات داخلية للتثقيف.
- انجاز شروحات النظام الداخلي.
- دراسة ادبيات الحزب في المستويات المختلفة.
- تثبيت التقاليد اللينينية بالنسبة لمجلة الحزب الجماهيرية المركزية.
- تشكيل مكتب دراسات وتثقيف يتولى مسؤولية الدراسات ووضع برامج التثقيف، والاشراف على الجانب النظري في حياتنا الحزبية من كافة جوانبه.

فما هي حصيلة التطور على هذا الصعيد، وما هو واقعنا الراهن؟

ان اية وقفة موضوعية امام ما انجزناه على هذا الصعيد، لا بد وأن ترى القفزة الكبيرة التي قمنا بها، الامر الذي يثير اعتزازنا، ويجعلنا نسجل التقدير الايجابي لما تم انجازه، وخاصة لجهة الالتزام بتوجيهات المؤتمر الوطني الرابع وتطبيق ذلك بشكل جيد بغض النظر عن هذه الثغرة او تلك مما لا يبهت الصورة العامة.

فعلى صعيد وضع البرامج التثقيفية ومتابعة ومراقبة تنفيذها، تتضمن مهام محددة على صعيد التثقيف والبناء الفكري.

وعلى صعيد رفع مستوى تملك القيادات والكوادر للمنهج الماركسي المادي- الجدلي وتوفير الفرصة لهم للدراسة والتعليم، فقد بذل الحزب في فترة ما بعد المؤتمر الوطني الرابع جهوداً كبيرة على هذا الصعيد وشكلت الدورات الخارجية القصيرة والطويلة الامد والقيادية الشكل الوسيلة الاساسية لذلك، والى جانبها ساهم تطبيق برنامج التثقيف من خلال الاجتماع الحزبي الدورات المحلية والمركزية واشكال التثقيف والاعداد الاخرى دوراً ايجابياً على القيام بهذه المهمة، وفي السنوات الاخيرة استطاعت الجبهة ان توفر كادرها الحزبي المختص والمؤهل للاسهام في تلبية المتطلبات الملحة لدراسة واقعنا على اساس المنهج الماركسي المادي الجدلي والاسهام الفاعل للجبهة في المياه الفكرية- السياسية والثقافية.

وعلى ضوء ما تقدم، نستطيع القول، رغم الثغرات هنا وهناك، ان الجبهة قد تحولت بالفعل الى مدرسة حقيقية لامتلاك ناصية التفكير الماركسي وقد تم قطع شوط كبير على هذا الصعيد حيث